الثورة الثقافية فى الصين
1965- 1976

د.ميلاد أ .المقرحى

ا ــ مقدمة

الحركة الثورية الصينية التي بدأت بتأسيس الحزب الشيوعي الصيني سنة 1921، ما كان لها أن تنتصـــر وتســـتمر إلا بقـــيادة ماوتسى تونج ، وثوريته غير المحدودة، وقيادته الصارمة، والحاجة إلى الوحدة والنظام وحرب التحرير ،كلها أدت إلى ، وساعدت على توحيد الحزب (والثورة والأمة حول ماوتسى تونج رمزا وعلى إبراز قيادته مصدرا للإبداع والحكمة) ولم تكـــن الـــثورة الصينية فى سنة 1949 نتاج ثورة تقليدية، وإنما كانت نتاج عقدين من الحرب الأهلـــية، حكـــم الجيش الأحمر خلالها أجزاء شاسعة من الصين. وبعد سنة 1949 حلق ماو عاليا فوق جميع زملائه الثوار، ومنذ ذلك الوقت أيضا كانت صورته تحتل مكان الصدارة فى المـــبانى العامة والشوارع والبيوت وتزين السيارات والشاحنات العسكرية . ومنذ سنة 1949 وحـــتى وفاتـــه في 1976 كان لماو تأثير لامثيل له على بلاده، وعلى كل الحركة الشيوعية الأممـــية ، وعلى العالم الثالث .ويعتبر ماو صاحب عبقرية وموهبة ومقدرة عظيمة فى تنظيم الجماهير وقيادتها.

وكانـــت أهـــم قضـــية واجهـــت حكومة الصين الثورية بعد سنة 1949 هي قضية الإصلاح الزراعـــي ولتنفيذ ذلك صدر قانون الإصلاح الزراعي في يونيو 1950 ووفقا له تمت عملية إعـــادة توزيع الأرض على الفلاحين.وفى سنة 1951 شهدت الصين حملات جماهيرية تمثلت فـــى مطـــاردة أعـــداء الثورة وحملات أخرى ضد البيروقراطية والفساد والإسراف والجنح الاقتصـــادية. وفـــى سنة 1952 زاد التأكيد على الحملة الاقتصادية وأعلنت الخطة الخمسية الأولى 1953ــ1957 وتم توجيه كل دعاية الحزب نحو زيادة الإنتاج. وبدءاً من أواخر سنة 1957 تدافعت الحملات الجماهيرية والأهداف الإنتاجية وأدت مباشرة إلى حملة القفزة الكبر ى إلى الإمام التي أعلن عنها رسميا فى مايو 1958. وكانت أحداث سنة 1958 كبيرة الأهمية، ففى هذه السنة حاولت الثورة الصينية أن تتطرف فى تطبيق التجربة الاشتراكية، وحل أسلوب مـــاو فـــى الـــتحريض والحث والدفع من الخارج محل المنطق والعقلانية والتطور التاريخي وشهدت هذه السنة أيضا حملة القفزة الكبرى إلى الإمام وإنشاء كوميونات الشعب.

* أستاذ التاريخ الحديث ، قسم التاريخ / كلية الآداب ، جامعة قاريونس ، بنغازي .

تجاهلت القفزة الكبرى إلى الإمام المعوقات المادية والتقنية، وأرادت بناء التقدم بالاعتماد علـــى إرادة الإنســـان أساسا، واستندت إلى استنفار اليد العاملة فى البلاد، الا أنها أثرت سلبيا علـــى الأحـــوال الاقتصادية فى البلاد، خاصة الزراعة والصناعة. أما نظام الكوميونات فهو نظـــام اجتماعـــي واقتصـــادي فرض على المواطنين الحياة الجماعية فى معسكرات من دون أملاك خاصة . فقد كان نظام الكوميون فى الصين يعنى خضوع حياة الناس للتنظيم الجماعى فى جميع مجالات الحياة . وقد اتسعت طموحات الزعامة الشيوعية إلى حد أنها غدت تسعى للـــتحول الـــى المجـــتمع الاشتراكى الكامل. وكان ماو يهدف إلى حل مشاكل الصين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى حملة جماهيرية واحدة، ومعالجة الركود والكساد الزراعـــي بالتعبـــئة الجماهـــيرية ونشر الكوميونات التى توفر اساسا للنمو الصناعى السريع حسب وجهة نظره.

ومـــن أجـــل تحويل الروح الثورية لدى الفلاحين إلى قوة مادية شن الحزب الشيوعى فى سنة 1958 حملة ضد الثقافة السائدة مطالبا بالأدب والفن من أجل الفلاحين والعمال واشترك الريف الصيني فى تحويل الروح الثورية إلى قوة مادية كبيرة تنشر الشيوعية إلى الملايين في الصـــين.ولكـــن حملـــة القفزة الكبرى إلى الأمام وإنشاء نظام الكوميونات تزامن مع الوقف المفاجئ للدعم السوفييتي يومئذ للصين سنة 1960. ومن أجل تفادى وقوع كارثة في الاقتصاد القومـــي تراجعت القيادة الشيوعية عن نظام الكوميونات ولكنها لم تعترف بفشله، وأدركت أن الفلاح لن يعمل دون حافز شخصي ولذلك لم تحاول التخلص من نظام قطع الأرض الخاصة ، وتمـــت ، الموافقة على عودة الفلاحين إلى أسلـــوب الزراعة الـــفردية[1].ومن ناحية أخرى بـــادر مـــاو إلى تنظيم حملات جديدة تركزت على تنقية المجتمع الصيني الذي اعتبر إقطاعيا ومتخلفا. وفى سبتمبر 1962 بدأت الحملة التربوية الاشتراكية التى هدفت إلى تطهير الفلاحين مـــن ميولهم الفردية الإقطاعية والرأسمالية. وبدءا من سنة 1963 شرعت القيادة في ترسيخ جديـــد للعقـــيدة فـــي صفوف الجيش الأحمر من خلال الكتاب/ الكتيب الأحمر الذي يتضمن مختارات من أقوال ماو. وفى كل الأحوال أصبح الطريق ممهداً لتفجير الثورة الثقافية .

ومـــن خـــلال مـــا أشـــرنا إلـــيه سابقا نرى أن ماوتسى تونج كان يرمى إلى ضمان اســـتمرارية الـــثورة من خلال تحقيق سلسلة من الانتفاضات الثورية المتعاقبة ويرى أنه لاشيء غير هذا يؤدى إلى استمرار النضال الثوري. ويعتبر ماو الصراع الطبقي أسلوبا قياسيا في الأيديولوجية الشيوعية لضمان برنامج ثوري مستمر. وعلى هذا الأساس يبدو

---

1 ــ لمـــزيد مـــن التفاصـــيل عـــن الـــثورة الصينية يمكن العودة إلى ميلاد أ . المقرحي تاريخ آسيا الحديث والمعاصر جـــ 1 شرق آسيا : الصين اليابان ، كوريا (بنغازي : منشورات جامعة قاريونس 1997) ص ص 129 ــ 143

أن الثورة الصينية آنذاك لم تكن تسعى إلى كفالة حالة من الاستقرار تنطلق في ظلها قوى الإنتاج لتحقيق الرخاء، لأن ماو كان يعتقد أن تحقيق النجاح يتم عن طريق توليد طاقات ديناميـة متصـلة الحلقـات ، أو من خلال إحداث موجات من الحركة ، الموجة تعقب الأخرى، وما الثورة الثقافية سوى موجة منها.

2 أصول الثورة الثقافية وبداياتها الأولى

تـرجع الـبدايات الأولـى للثورة الثقافية في الصين إلى يناير 1961 عندما كتب المؤرخ الروائـي يـوو ــ هان مسرحية بعنوان ((عزل هاى جوى)) نشرت في مجلة بكين للآداب والفـنون فى يناير 1961، تتحدث ظاهريا عن قصة موظف نزيه كان يخدم الدولة فى عصر إحـدى الأسرات الصينية الإمبراطورية القديمة ، عزله الإمبراطور لدفاعه عن الفلاحين ضد الطغـيان والظلـم والتعسـف. والأمر يتطلب فقط القليل من التخيل لنرى أن المؤلف يقصد بالإمـبراطور مـاو وبـالموظف المعزول بينج تا ــ هوى وزير الدفاع الذي عزله ماو من منصـبه فـى سنة 1959[2]. يكمن الغرض الحقيقي من هذه المسرحية، إذا، فى مهاجمة ماو لقيامه سنة 1959 بتصفية بعض عناصر الحزب وإبعادها وفى مقدمتها بينج تا ــ هوى. وقد اسـتمرت حملة مهاجمة ماو خلال السنوات 1961،1962،1963 ففي يونيو 1961 نشر يوو ــ هان قصة موظف حكومي في التاريخ الصيني القديم ظلمه القائم على السلطة آنذاك فعزله عـن منصبه ثم تبين له خطاه فعينه وزيراً للدفاع . وفى سنة 1962 نشر يوو ــ هان قصة رمزية أخرى تشير إلى سيرة قائد عسكري في تاريخ الصين القديم وقع ضحية اتهامات باطلة وجههـا إليه الإمبراطور. وفى هذه القصة أشار الكاتب إلى الانتكاسات التي يتكبدها أصحاب السـلطة لعـدم اهتمامهم بالمواقف الإيجابية وإهمالهم نصائح أصحاب التجارب والخبرة. وما كـان لهـذه الجماعة الجرأة على سلوك هذا السبيل لو لم تعتمد على تأييد شخصيات قوية فى الحزب الشيوعي الصينى.

وأيا كان الأمر فان ماو استجاب للتحدى وأعلن ، فى ديسمبر 1963، بداية خطة جماهيرية محورها أن على البلاد كلها وقيادات الحزب بالذات أن تتعلم من جيش التحرير الشعبي. كما أشار إلى أن الموتى لا يزالون يسيطرون على كثير من مجالات الفكر. وكان ماو يخشى على الـثورة من أن تفقد الحماسة لها بين الأجيال المقبلة بعد أن رأى بوادر الترهل وعدم الاندفاع بيـن الجيل الثانى للثورة، ومن مراهنة القوى الاستعمارية على ذوبان الثورة الاشتراكية عبر تـتابع الأجيال .ولم يرض ماو من وراء الثورة الثقافية بأقل من تجديد شباب ثورته الكبرى، وأن يسـتعيد لها الانفعال والنظام والحيوية والنشاط وهى السمات التي لازمتها طوال سنوات

---

2 ــ Kuang Huan Fang ed., The Ghinese Guitural Revoiution : Seieeted Documents (niew york , 1968) p . 199 .

النضال الثوري التي حفلت بالمتاعب والمصاعب والآلام . والدافع الكامن وراء الثورة الثقافية هو شعور الزعامة بالقلق الشديد من ضعف المبادئ الثورية بفعل المغريات المادية وهي كانت أساسا من تفكير ماو وحده ، وترجع إلى تلك المثالية التي تخيلها في ذهنه عن الثورة أثناء سنوات الإعداد للثورة التي اتسمت بكراهية المثقفين وموظفي الدولة والمدن . فالثورة الثقافية فرضت فرضنا من أعلى ، أي أن الزعامة وحدها هي التي نفخت في الرماد فأحالته ضراما . وأرادت بذلك مطاردة المناوئين للثورة وتدمير المعارضة. وانصب الغضب بصورة خاصة على المثقفين والقضاء على سلوكهم البورجوازي وانحرافهم عن الخط الاشتراكي الذى اختارته القيادة. ويكمن الهدف فى تحويل البلاد كلها إلى مدرسة كبيرة لفكر ماو ومضاعفة الجهود لتغيير أذهان ملايين الصينيين وعقولهم ، والحفاظ على مركز الصدارة للعقيدة واحترام العلم وضرورة أن يبقى العلم والإدارة تابعان لها. ومن أهدافها أيضا العمل على تحويل كل صينى إلى عامل يحضى بقدر كبير من الوعي الاجتماعي والثقافة الرفيعة.

وقد جمعت الصين بين الأيديولوجية الاشتراكية العالمية وبين الفكر التقدمي الثوري النابع من أعماق الريف والتراث الحضاري الصيني وهو فكر ماو. ويتسم نظام الحكم الشيوعى الصيني بالنزوع إلى الشك في الآخرين والاحساس بالاضطهاد والخوف منهم ، وبالتالى قام عبر السنين، بشن حملات داخلية على اليمنيين تارة واليساريين تارة أخرى، والتحريفيين في مناسبة، واتباع تشانج كاى تشيك في مناسبة أخرى ، والمثقفين في مناسبة ثالثة. والقيادة الشيوعية في الصين مولعة بتحطيم الناس ثم رد اعتبارهم وتكريمهم. فهناك من مشاهير الصينيين من كرمتهم الحكومة الشيوعية الثورية ثم عادت وحطمتهم، وهناك الكثير من المفكرين والعلماء الذين تعرضوا لحملات التشهير مرارا في الفترة التي تلت سنة 1952، ثم احتلوا مكانة رفيعة في النظام فيما بعد.

منذ يناير 1964 التفت ماو إلى الشباب وضرورة اعدادهم للمهمة القادمة ، وبدأ بتنظيم الخلايا الثورية سرا فى رابطة الشباب ذاتها. وفى يونيو 1964 حذر بل أنذر المثقفين بأنهم يتزلقون إلى حافة الانحراف التام عن الاشتراكية. وفى ديسمبر من السنة ذاتها ألقى تشوإن ــ لاى ، رئيس الوزراء ، تقريرا استخدم فيه لأول مرة عبارة ((الثورة الثقافية)) وأشار إلى ضرورة إحداث تحول أساسي فى المجتمع. وفى اجتماع عقدته لجنة الحزب الشيوعي المركزية في سبتمبر 1965 أعطى ماو إشارة بداية الهجوم على ما أسماه بـ " الأيديولوجية البورجوازية الرجعية " . وهذا يعنى أن تجاوز آراء ماو في أوائل الستينات وقد استمر لفترة مؤقتة. وقبل أن تفتح المدارس والجامعات أبوابها بعد عطلة صيف سنة 1965 استطاع ماو أن يعبئ تأييدا كافيا لفكرته المتطرفة وهى إيقاف الدراسة لفترة من أجل إعادة تشكيل المدارس وإعادة صياغة المناهج. وكان ماو يرى ضرورة قضاء وقت أقل فى المدارس والجامعات، وضرورة ربط التعليم بالعمل الإنتاجي وأن ينتقل الإشراف على

المـــدارس من أصحاب المهن التعليمية المشكوك فى أمرهم إلى أيدى العمال والفلاحين ، أى يجب عدم السماح باستمرار سيطرة المفكرين البورجوازيين على التعليم وينبغى على الطلاب بالإضـــافة إلـــى الدراسة أن يتعلموا أشياء أخرى مثل الأمور العسكرية والأعمال الصناعية والحرف والزراعة، وعليهم أيضا أن يتعلموا انتقاد البورجوازية.

ويتمـــثل الهـــدف الـــتربوي عند ماو فى تكوين مجتمع لاطبقى يتم فيه توجيه الأفراد نحو مصـــلحة الجماعة وتحت شعار "اخدم الناس" أو "اخدم الشعب". ويمكن إيجاز استراتيجية ماو التربوية على النحو الآتي:

1ـ إعادة تربية المدرسين والمثقفين.

2ـ إتاحة فرص متساوية للالتحاق بالتعليم.

3ـ ضمان توجيه خبراء المستقبل نحو الصالح الجماعي.

4ـ إعادة صياغة المناهج وتعديلها.

5ـ الاتجاه نحو لامركزية إدارة التعليم وإلغاء الوزارات المركزية للتعليم العام والعالي.

6ـ وضع المدارس الابتدائية الريفية تحت إدارة فريق منتج بمعنى الاعتماد على الذات.

7ـ تقلـــيص مهنة التدريس والدور الأكاديمي فى قيادة المدارس والجماعات وإدارتها وتغيير القيادات التقليدية فى المؤسسات التعليمية [3].

ومنذ سنة 1965 قرر ماو ضرورة إرجاع الصين إلى عهد تسوده البساطة والخشونة والغليان الثوري الذي تميزت به بداية الثورة. وكانت الظروف الخارجية المتمثلة فى تدهور العلاقات مـــع الاتحـــاد السوفييتي يومئذ، واحتمالات الحرب مع الولايات المتحدة فى فيتنام ،وحوادث الحدود بين الصين والهند، وما ترتب على ذلك من تيارات واتجاهات صينية معارضة لسياسة ماو الخارجية والاقتصادية، وظهور فجوة بين المثقفين وسياسات الحزب، هذه التطورات كلها كانـــت من بين الأسباب التى دفعت ماو إلى التفكير فى التخطيط لعمل جديد يتغلب فيه أو به علـــى قوى المعارضة. وقد وجد ماو فى الثورة الثقافية المجال، وفى طلاب الجامعات الأداة ولا مفر من أن تؤثر الثورة الثقافية على أولئك الذين تؤثر أفكارهم فى عقول الشعب، وبالتالي تركز الهجوم على مؤلفي المسرح والسينما والشعراء والروائيين والمؤرخين ورؤساء تحرير الصحف والمجلات والمعلمين وأساتذة الجامعات ، وفى كلمات شاملة كل المشتغلين فى مجال الثقافة والفكر، وخاصة الأساتذة الذين يمجدون التعليم والتثقيف الأكاديمي، ولا يكترثون كثيراً بمـــبادىء الثورة وأهدافها الثورية.والهدف يكمن فى بناء نوع جديد من الناس بعقلية جديدة ، وأنماط جديدة. وقرر الزعيم ماو أن يتحقق ذلك على ثلاثة مستويات وهى على النحو الآتي:

اولا: إعادة صياغة أفكار الجماهير، وما التعليم الأكاديمي سواء جانب ثانوي فى التعليم العام

---

3 جـــوف فـــاي فليد " تطور السياسة التربوية في الصين الحديثة " ترجمة كمال توفيق الهلباوي مجاله رسالة الخليج العربي 16:8 (1985) 375 ــ 378 .

وتكمـــن أهم أهداف التثقيف الشيوعي فى تعليم الشعب حب الحياة الاجتماعية، وأن يعمل من أجـــل المصـــلحة العامة للوطن، ويتقبل التضحية بالمصالح الذاتية فى سبيل نجاح الثورة فى المدى البعيد .[4]

ثانياً: توجيه الجهود التعليمية نحو رفع مستوى شباب الأمة الصينية.

ثالـــثاً: معالجـــة أمـــراض المثقفيـــن وبخاصة كراهة المثقف للشيوعية وسلوكه البورجوازي المنحرف.

وفى منشور صدر فى 16 مايو سنة 1966 حذرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي من أن هناك قضايا غير الشؤون الثقافية تتطلب قيادة الأمة، وأعلنت البداية الرسمية للثورة الثقافية : ((لقـــد بدأ النضال الوطني ويجب أن تنصب الجهود لتصفية ممثلي البورجوازية الذين تسللوا إلى الحزب والحكومة والجيش وجميع مجالات الثقافة)) وتم اختيار ثلاث قواعد للثورة الثقافية وهـــى صـــحيفة العلم الأحمر وصحيفة جيش التحرير اليومية ومنظمة الحزب فى شنغهاى. وبلغـــت الثورة الثقافية ذروتها عندما هاجم طلاب جامعة بكين المسؤولين واتهموهم بمحاولة الحّـــد مـــن الـــنقد حفاظـــاً على النظام العام. وبدأت هذه المرحلة بنشر بيان علق على حائط بالجامعـــة شجب رئيس الجامعة والأمين الأول والثاني للحزب بالجامعة، وأعقب ذلك حملات نقـــد واســـعة ضـــد المسؤولين عن التعليم العالي. ثم سرعان ما امتدت حملة النقد إلى كبار الموظفيـــن فى المدارس والجامعات، ثم إلى المعلمين وأساتذة الجامعات. وترتب على ذلك أن عشـــرات من عمداء الكليات الجامعية والأساتذة فقدوا وظائفهم ومراكزهم العلمية .وكان على كثـــير مـــن المعلمين أن يكظموا غيظهم فى انتظار الفرصة المناسبة لردة الفعل ، ولكن تلك الفرصة لم تأت إلا بعد موت ماو فى خريف سنة 1976 ونهاية الثورة الثقافية.

3- الحرس الأحمر ودوره فى الثورة الثقافية.

مـــنذ ســـنة 1935 كان الحزب قاعدة سلطة ماو الوحيدة ومصدر السلطة ، ولكن بعد الثورة تبين لماو عدم استطاعته الاعتماد على الحزب اعتمادا تاما، كما كان الحال فى الماضى، فى تنفيذ برامجه الفكرية الثورية.فقد اعتقد ماو أن منظمات الحزب غدت غير فعالة بدرجة كافية بســـبب تأثير بعض المعارضين مثل ليوتشاوتشى [5]. وكان من الضرورى أن يتجه ماو نحو الشباب، ومن خلالهم وبهم نجح فى تأسيس منظمة الحرس الأحمر التى حصلت على الشرعية بوصفها منظمة ثورية من اللجنة المركزية للحزب فى أغسطس 1966.

---

4 ــ جون فاي فليد ، المرجع السابق ، 378 .

5 ــ ليوتشاوتشـــي (1898 ــ 1969) كـــان احـــد ابـــرز أعضـــاء الحزب الشيوعي الصيني وطوال خمس وعشرين سنة كان يعتبر خليفة ماو . وفي سنة 1968 ابعد عن جميع مناصب الحكومة والحزب .

تشـكلت اولى وحدات الحرس الأحمر فى سنة 1927 فى مقاطعة يّنان الشرقية. أما مصطلح الحـرس الأحمر فقد ظهر لأول مرة فى سنة 1960. وفى مايو 1966 تم تنظيم أول وحدات الحـرس الأحمـر بشكله الجديد، وكما أراد ماو، فى جامعة بكين، ثم انتشرت حركة تكوين الوحدات فى جميع أنحاء الجمهورية . وهكذا ظهرت قاعدة جديدة للسلطة يشن ماو من خلالها ثـورة عارمـة جديدة مليئة بالحيوية والنشاط والحماس الثوري. وقد أراد ماو تدعيم مركزه وزعامـته من خلال الحرس الأحمر الذى أصبح الآن الجهاز الثوري الجديد .وفى8 أغسطس 1966 عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اجتماعا وأصدرت بيانا تضمن النقاط الآتية:

اولا: استرداد الزعامة من أولئك القابعين داخل مكاتب الحزب ويمارسون سلطاتهم على البلاد بالرغم من انتهاجهم النهج الرأسمالي.

ثانيا: إيجاد جهاز جديد دائم فى شكل جماعات ولجان ومؤتمرات ثقافية ثورية فى كل مناحى الحياة المهنية تتولى تنفيذ فكرة الثورة الثقافية .

ثالثا : إن الثورة الثقافية ثورة عظيمة تمس أعمق ما فى ذات الإنسان وتمثل مرحلة جديدة أشد عمقا وأشد تحولاً في الثورة الاشتراكية فى الصين.

رابعـا :حددً البيان أهداف الثورة الثقافية فى سحق البورجوازية والرجعية، وإصلاح التربية والأدب والفن.

وفـى 1966/8/18 عقد الحرس الأحمر أولى اجتماعاته بميدان السلام السماوي فى بكين، وحضـر هذا الاجتماع ماو ولين بياو، وأصبح ماو نفسه رئيسا لمنظمة الحرس الأحمر التى كانت تتكون من طلاب تتروح أعمارهم بين15و25 سنة شريطة أن يكونوا من أبناء العمال والفلاحيـن والجـنود ومن أبناء شهداء الثورة وتولى الجيش مهمة تنظيم هذه الجماعات من شباب الحرس الأحمر وتزويدها بالملابس الرسمية (البدلة الزرقاء) والشعارات، وخصصت لهـم مراكـز تدريـب ونظموا على نمط فرق عسكرية لها شرطتها الخاصة.وأصبح شعار الحرس الأحمر : " تعلموا كيفية إشعال الثورات بإشعالها" كما رفع شعار تهديم الباليات الأربع وهـى : التقاليد القديمة ، والعادات القديمة، والأفكار القديمة والثقافة القديمة، وأن يحل محلها .فكـر مـاو. ولكن هذا لايعنى هدم كل ماهو قديم ولايعنى بالضرورة إلغاء التراث الصيني الفكري والعلمي.فالمقصود بالشعارات السابقة هو هدم كل مالا يتفق مع الفكر الاشتراكي الذى رآه ماو. أما التراث فيؤخذ منه ماهو نافع ويترك ماهو ضار. ومع ذلك فإن الثورة الثقافية قد ترتب عليها تحطيم الكثير من الأعمال الفنية القديمة فى المتاحف وحتى فى البيوت الخاصة.

وتنفيذا للثورة الثقافية بدأ شباب الحرس الأحمر فى اجتياح المدن والقرى حاملين دمى تمثل خصـوم مـاو وتهـتف ضدهم تكتسح بيوتهم، وتوجه إليهم الألفاظ البذئية النابية. واستخدام الحـرس الأحمـر أكثر من أسلوب لشرح فكر ماو، (واتخذ من الحزب والجامعة والمصنع والمـزرعة ميادين يمارس فيها نشاطه على هيئة حلقات دراسية لفكر ماو) وقراءات للكتاب

الأحمر الذى يحتوى على مقتطفات من أقوال الزعيم ماو، ومسيرات تطوف الشوارع، وتعليق اللافتات، والتنقل بالقطارات مجانا من مدينة إلى أخرى لنقل التجارب الثورية والهجوم على المعارضين علنا وتنظيم محاكمات لهم وممارسة النقد والنقد الذاتى فى جلسات علنية [6]. وهكذا تدفق شباب الحرس الأحمر على الدولة يهتفون بسقوط كبار قادة الحزب، ويرفعون شعارات متطرفة. ومن ناحية أخرى ازداد تأثير حركة الحرس الأحمر فى المدارس تدريجيا فى كل أنحاء البلاد. ففى كل يوم كان يتم تجميع الطلاب ويحاضر فيهم قادتهم عن مدى اعتماد ماو عليهم لإنقاذ الثورة.

ومن أجل أن يظهر الحرس الأحمر ولاءه لماو قام فى الفترة ما بين 8/18 و11/26/ 1966 بثمان مظاهرات عارمة فى بكين اشترك فيها ملايين الشباب بهدف لقاء ماو ، وقد يتحدث إليهم أولا يتحدث فى أكبر ميادين العاصمة اتساعا. ويبدو أن الحماس قد سيطر عليهم ولم يعد فى ذهنهم غير ماو وما قاله فى كتابه الأحمر. وفى هذا الصدد يورد ألبرتومورافيا فى كتابه: ثورة ماو الثقافية، حواراً أجراه هو شخصيا مع بعض شباب الأحمر، ظهر فيه أن الشباب يرون أن الثورة ثورتهم:وأنهم مع ماو ضد الجميع، وأنهم يقرأون ماو وليس ماركس، وأن إقفال الجامعات تم لإتاحة الفرصة لعقد الاجتماعات ولزيارة الزعيم ماو ولقائه ولإعادة تنظيم مناهج الدراسة[7] . ومن خلال الآراء التي أبداها الطلاب، فإن المرء لايتوقع أن تكون إجاباتهم بعيدة عما أدلوا به، وهو أمر يتفق تماما مع ما أراده ماو منهم. والواقع أن ماو قد حقق نجاحاً باهراً فى هذا الخصوص، وأصبحت سيطرته عليهم عارمة، كما أصبحوا أداة طيعة فى يده يوجههم حيث يريد [8].وكان الطلاب يرون أن فكرة الحرس من الشعب وليس من الحزب، وأن هدفهم يكمن فى حماية الزعيم ماو ضد حفنة سلكت السبيل الرأسمالى واتخذت طريق المعارضة لماو. (كما أعلنوا أنهم يطيعون ماو وليس الحزب، وأن ليوتشاوتشى يسير فى طريق الضلال) [9].ومن طريق هذه الملايين من التلاميذ والطلاب الذين جندهم، وجعلهم يعبدونه ويقدسونه تمكن ماو من القضاء على خصومه.

وقد أدت الحملات السياسية المكثفة الموجهة لتصحيح الفكر إلى إثارة الرعب والفوضى فى البلاد ووضعت الثورة الثقافية، فيما بعد، بأنها كانت كارثة كبرى وفوضى عارمة استمرت لمدة عشر سنوات ولكن الكثير من الكتاب الغربيين قد وقعوا فى خطأ فادح عندما وصفوا الحرس الأحمر بأنه مجموعة من المعربدين والمشاغبين غدوا يّسيطرون على شوارع المدن.

---

6 ــ عبدا لرحيم أحمد حسين " الثورة الثقافية في تاريخ الصين " مجلة عالم الفكر 1:19 (1988) 127 ــ 128 ، فؤاد محمد شبل حكمة الصين جـ 2 (القاهرة : دار المعارف 1968) 369 ــ 372 .

7 ــ ألبرتو مورافيا ثورة ماو الثقافية ترجمة وحيد نقاش (بيروت دار الأدب ، 1968) .

8 ــ ع . أ . حسين " الثورة الثقافية في تاريخ الصين " 128 .

9 ــ حسن صعب ثورة الطلاب في العالم (بيروت : دار العلم للملايين 1968) 92 .

فالحـــرس الأحمر فى الحقيقة، كان تجسيدا لسلطة ماو يستخدمه لترويع خصومه ومعارضيه، وكان أداة سياسية فعالة تستخدمها عبقرية أوتيت درجة كبيرة من قوة التصور والإبداع، فضلا عن كونه مدبرا فذا لأستثارة الحمية والثورة بين الشباب الذين لم يجابهوا أحداث الثورة مثلما جابهها ماو ورفاقه.

واســـتعدادا وتعمـــيقا للصراع ضد خصومه ابتكر ماو تدبيرا جديدا. فقد سرت فكرة دراسة آرائـــه فى صفوف الجنود وجميع المواطنين ، وأصبح كل فرد يحمل كتابا يحتوي على آراء واستشهادات من أقوال ماو. وفى كل أنحاء الصين كان الناس يقرأون الكتاب الأحمر فقد كان يقـــرأه ركـــاب السيارات العامة والحافلات والقطارات، والعمال فى المصانع والفلاحون فى الحقول والمزارع، وكان يُقرأ حتى فى أثناء تناول الوجبات الغذائية.وقد استنتج بعض الباحثين المتخصصـــين فى الشؤون الصينية من هذا الإجراء وغيره أن ماو كان مصابا بمرض جنون العظمـــة وجـــنون الاضطهاد أى جنون الارتياب وهى نزعة عند الأفراد والجماعات تجعلهم شـــديدي الشك والارتياب فى الآخرين. ومع ذلك فقد برهن ماو على أنه كان عبقريا استطاع أن يوجـــد جـــوا لا يجـــرأ أحد فى غماره على معارضة آرائه أو مناقشتها ومهما كانت شدة إجـــراءات التطهـــير وقســـوة الأساليب التى اتبعها الحرس الأحمر ، فلم تسفك دماء ولم تجر مذابح.

اســـتخدام ماو ضد خصومه الأساليب النفسية من خلال تدمير روحهم المعنوية، فيعجزون عـــن رفع أصواتهم ضده. ومثال ذلك إغراء أبنائهم بالتمرد عليهم لمخالفتهم آراءه. وقد تطور هـــذا الصـــراع أثـــناء هذه الفترة فى المدارس والجامعات بين مختلف فئات الحرس الأحمر. وأصـــبحت كـــل فئة من فئات الحرس الأحمر المتنافسة تصرّ على أنها تمثل الروح الحقيقية للماويـــة مما أدى إلى تدهور دور طلاب المدارس الثانوية والعليا الذين كانوا يشكلون غالبية أعضـــاء الحـــرس الأحمر. وبالتالي أتيحت الفرصة لطلاب الجامعات ليقوموا بدور أكبر فى الثورة الثقافية ، كما تحولت أيضا القيادة من الحرس الأحمر إلى المتمردين الثوار الذين فكروا الآن فـــى إقامـــة تحالف مع الفلاحين ، والعمال إلا أنهم اخفقوا فى تحقيق ذلك بسبب سلوك الحرس الأحمر السابق. وفى هذا الوقت اتجه ماو إلى الجيش الذى تحول إلى منظمة سياسية فعالة.

أمـــا حـــركة التطهير فقد تناولت أمين الحزب ورؤساء تحرير الصحف والكتاب والقائمين علـــى شـــؤون الدعايـــة، ومديري الإذاعات والمعلمين وأساتذة الجامعات ، إلا أنها لم تشمل ضـــابطا واحدا من ضابط الجيش أو مدير مصنع من المصانع. وفى الحقل الاقتصادي بالذات حاولـــت القيادة توفير الاستقرار في الحياة الاقتصادية، وكان هناك حرص على عدم المساس بالإنـــتاج، فقـــد أعلن تشو إن ــ لاى رئيس الوزراء، أن الإنتاج مقدس، وأمر افراد الحرس الأحمر بالابتعاد التام عن المزارع والمصانع ، كما طلب من الفلاحين والعمال عدم المشاركة

فى اجتماعات الحرس الأحمر، وأرسلت الحكومة فرقا من الحرس الأحمر لمساعدة الفلاحين فى حصد المحصول الزراعي. كما شكل الحزب والجيش لجانا لمراقبة أفراد الحرس الاحمر ومـنعه عن الاندفاع فى الطرق والمسالك التى تضر القضايا الوطنية. وفى هذه الفترة كانت الدراسـة لاتـزال متوقفة فى المدارس والجامعات وأعطى الطلاب الأجانب إجازة علم. أما الجـيش فكانت الروح الثورية تسوده بعد تصفية المنشقين فى سنة 1959 وبعد إجراء حركة تطهير شاملة فى سنة 1965، كما تم تعيين ضباط سياسيين كانت لهم الكلمة العليا فى شؤون الجـيش بأسره، وعليه صار الجيش منظمة سياسية فعالة كما سبق القول، بالرغم من أنها لم تصل إلى مستوى الحزب.

وفى ربيع 1967 غدت الصين في حالة فوضى بسبب نشاطات الحرس الأحمر والمتمردين الثوريين، وفقد النظام سيطرته ولكن ماو لم يتعاطف مع هذا التطرف، فقد كان يؤمن، لاريب، بالـثورة إلا أنه، في الوقت ذاته، كان يطالب بالانضباط والقيادة السليمة. وفى هذا الوقت كان علـى ماو أن يبحث عن وسائل جديدة لتحقيق ما يريد فاتجه إلى جيش التحرير الشعبى، فهو سـلطة ملتزمة بالثورة لا تنساق وراء السلوك غير المنظم وغير المنضبط. وهكذا أعيد تنظيم مجموعـة الثورة الثقافية في الجيش وأصبحت تشيانج تشينج، زوجة ماو ، مستشارة لها.ومن خـلال التسلسل المنطقى للأحداث يبدو أن ماو قد وقع تحت سيطرة زوجته وتأثيرها، الممثلة القديمـة التى قامت بدور مهم فى الثورة الثقافية منذ محاولاتها الأولى فى الهيمنة على مسرح بكين.

4ـ اللجان الثورية:

بعـد أن جـرب استخدام الحرس الأحمر فى تنفيذ منهاجه الفكرى غير ماو رأيه وفكر فى إنشاء جهاز جديد دائم فى شكل جماعات ولجان ومؤتمرات ثقافية ثورية فى جميع أنحاء البلاد لتـتولى تنفيذ فكرة الثورة الثقافية. وقد كان واضحاً تماما أن الطلاب كانوا يرون فى شخص مـاو بديلاً عن الحزب، وأن أفكاره هى الموجه لهم. ومن أجل أداء الهدف المنشود بكفاءة تم تشـكيل لجـان ثوريـة من بينهم تقوم بعمل اللجان الحزبية فى الوقت السابق للثورة الثقافية. وسرعان ما أصبحت اللجان الثورية هى الأداة التنفيذية والتنظيمية لتنفيذ سياسة الثورة الثقافية وبـرنامجها فى دحض المعارضين والبورجوازيين والبيروقراطيين. وقد استمر إنشاء اللجان الثورية ببطء بسبب صعوبة تحديد من يمثل المتمردين الثوار والكوادر الثورية. ولكن لم يأت شـهر سبتمبر 1967 حتى كانت هناك لجان ثورية في ستة أقاليم فى حين كان الجيش يحكم بشـكل مباشـر في 22 إقليما. وفيما بعد، عندما أنشئت اللجان الثورية في هذه الأقاليم كانت تخضـع بصـورة مباشرة لسيطرة الجيش. ومن ناحية أخرى لم يلغ ماو المؤسسات الحزبية العلـيا مـثل المكتـب السياسـي، واللجنة المركزية للحزب ، واللجنة السياسية التابعة للجنة المركـزية وهى أعلى المؤسسات التنفيذية الحزبية، بالرغم من أن هذه المؤسسات لم تمارس

أعمالها وفق التنظيم الحزبي.

وأثناء الثورة الثقافية تعرض كثير من أعضاء المؤسسات الحزبية ، كان من بينهم ليوتشاوتشى [10] رئيس الدولة، الذى أطيح به للنقد، وقد سبقت الإشارة إلى أن الحرس الأحمر قد اندفع بلا حدود فى مهاجمة أى شخص باستثناء الرئيس ماو. وفى فترة من الفترات تمتع الحرس الأحمر بنوع من الحصانة، ومنعت أى سلطة من التدخل فى نشاطه. وأعلن ماو " أن التمرد حق " وكان ماو يرى أن الاضطرابات ستؤدى إلى الفوضى ، إلا أنها ستحمس الجماهير وهو ماكان يريده [11]. ويبدو أن الأمور قد خرجت عن نطاق السيطرة فى حالات كثيرة ، ووقعت تصادمات بين الحرس الأحمر ومجموعات فى المصانع والريف مما اضطر ماو إلى استخدام الجيش فى إعادة السيطرة وفرض النظام، وأيضا إعادة الطلاب إلى مدارسهم وجامعاتهم.وظهر فى هذه الفترة تلاحم الطلاب مع الجيش والكوادر الحزبية الملتزمة بخط ماو، وفى حالات كثر تطاول الحرس الأحمر على كثير من المؤسسات العلمية والشخصيات الفنية والأدبية. ولكن ماو منع الطلاب من التعرض لعلماء الذرة مهما كانت هويتهم [12]. ففى ذروة الثورة الثقافية جرى تفجير القنبلة الهيدروجينية الصينية فى سنة 1967، وقبل ذلك فجرت الصين القنبلة الذرية فى 10/16/ 1964 وقد تعزز موقف ماو بعد تفجير القنبلة الذرية بجهد صيني ، مما جعله يدحض آراء القائلين بضرورة الاعتماد على الاتحاد السوفييتي آنذاك . كما يشير ذلك إلى صحة نظرية ماو في أهمية اعتماد الصين على نفسها أولاً في بناء قوتها وحضارتها . وهكذا برهن ماو على أنه كان واعياً لما يفعل وأن الثورة يجب أن لا تخرج عن الحدود المرسومة ، وأن المصلحة العليا للوطن ، حتى لو ارتبطت ، أحيانا ، بوجود البورجوازيين ، يجب أن لا تمس . والحق أن ماو هو الذي وضع الصين على خريطة العالم كدولة عظمى نووياً .

ومع ذلك فقد بلغت المعارضة ذروتها للثورة الثقافية حينما وصلت الأمور إلى الصدامات المسلحة بين مؤيديها ومنتقديها في يناير . ولكن هنا ومرة أخرى أثبت ماو وعيه عندما تدخل مباشرة ونجح في تهدئة الأمور وإعادتها إلى نصابها وجنب بلاده خطر اندلاع حرب أهلية . وفي أكتوبر 1968 أعلن ماو إنهاء عهد الفوضى الثورية ، كما أعلن في الوقت ذاته أن ثورته هذه لن تكون الأولى ولا الأخيرة محذراً كل من يحاول التطاول عليه أو على أفكاره الاشتراكية . وهكذا نجح ماو في تهدئة الأمور وإنهاء الفوضى التي قام بها الحرس الأحمر

---

10 ــ في سنة 1966 حل لين بياو محل ليوتشاوتشي وفي سنة 1968 طرد لوتشاوتشي رسميا من جميع مناصب الحكومة والحزب .

11 ــ ع . أ . حسين " الثورة الثقافية في تاريخ الصين " 128 .

12 ــ حسن صعب ثورة الطلاب في العالم ، 127 ، ميلاد أ . المقرحي موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر (فاليتا : منشورات دار ELGA 1999) 53 ــ 57 .

واللجـــان الـــثورية إلا أنه لم يعلن إنهاء الثورة الثقافية . وفي 24 / 4 / 1969 عقد مؤتمر الحزب التاسع وفيه تم انتخاب ماو قائداً ولين بياو الرجل الثاني بعده . وأظهر المؤتمر ولاءً مطلقـــاً لمـــاو ومـــنحه سلطاته كاملة وفق الدستور الذي صدر في تلك السنة . وبذلك أضفى الحـــزب صفة الشرعية على كل الممارسات السابقة . وتعد الفترة من مايو 1966 إلى أبريل 1969 المرحلة الأولى من مراحل الثورة الثقافية في تاريخ الصين الحديث.

ومـــن الناحـــية الـــنظرية يفـــترض أنه بعد أن أعاد ماو ترسيخ زعامته وسلطته وإقصاء معارضـــة السياسيين ومنتقديه ومن المثقفين ، وأخذ الشرعية لتصرفاته من مؤتمر الحزب ــ يفـــترض أن يعود الهدوء إلى البلاد ، وتركز الدولة على البناء الاقتصادي ، ولكن الأمور لم تستمر وفق هذا التوقع . فقد اتضح أن محاولات التطور للفكر الاشتراكي الصيني التي بدأها مـــاو لم تنته بعد . ومما زاد الأمور تعقيداً ظهور خلافات بين العناصر الجديدة التي تسلمت الســـلطة . وبدأ لين بياو ، الرجل الثاني في الدولة ، فى التآمر ضد ماو ، ووصل الأمر إلى حدّ اتهامه بمحاولة تدبير انقلاب عسكري ضد ماو في سنة 1970 ــ 1971 . ولكن المحاولة أخفقت وانتهى مصيره بين إشاعات القتل أو الانتحار ، ومات في حادث طائرة في منغوليا في ســـبتمبر 1971 في محاولة هروب مزعومة إلى روسيا . وترك لين بياو مكانه لتشو إن لآي ليشرف على الأعمال اليومية للجنة المركزية للحزب التي تدير شؤون الدولة . واستطاع تشو إن لآي أن يـــنجو مـــن أثر التطاول والنقد أثناء الثورة الثقافية ، واستطاع أيضا أن لا يكون محســـوباً علـــى أي فـــئة متـــنازعة . وقد حاول تشو إن لآي أن يقترح على ماو القيام بنقد الأيديولوجـــية اليســـارية المتطرفة ، ولكن ماو رفض هذا الاقتراح ورأى ضرورة أن تستمر الـــثورة فـــي معارضة اليمين المتطرف . وربما كان قصد ماو في هذه المرحلة هو الجماعة المهتمة بتوجهاتها نحو الولايات المتحدة الأمريكية علنا وهي مجموعة زهاو آن لى .

ولجـــأ مـــاو إلـــى المؤتمـــر العاشر للحزب الشيوعي الصيني سنة 1974 الذي أيد قرارات المؤتمر التاسع سنة 1969 المؤيدة للثورة الثقافية . وبعد هذا المؤتمر ظهرت قيادات جديدة في أعلى سلطة سياسية في البلاد وهي المكتب السياسي التابع للجنة المركزية للحزب . واســـتطاعت مجموعة ما عرف بعصابة الأربعة [13] أن تصل إلى المكتب السياسي المكون مـــن عشـــرين شخصا فضلا عن ستة أعضاء تنتخبهم اللجنة المركزية للحزب . ومع ظهور عصابة الأربعة وإبعاد لين بياو وزهاو آن لي بدأ ما يمكن أن نسميه بالفترة الثالثة من الثورة الثقافية التي أرادها ماو ضد اليمين المتطرف ، والتي تواصلت حتى موته في سبتمبر 1976

تمادت عصابة الأربعة في عمليات الدحض فضلا عن التحقيق والتصفية اللذين لحقا بكـــل من أتهم بعلاقة مع لين بياو . كما وجهت اتهامها إلى رئيس الوزراء السيد تشو إن ــ لاي ، وهو أمر رأي فيه ماو محاولة لاغتصاب سلطة رئيس الوزراء ووجه إليهم نقداً قاسياً .

---

13 ــ وهم تشيانج تشينج زوجة ماو ، وشانج شون شياو ، ووانج هونج ــ وين ا ياو وين يوان .

وبالـرغم من أن العصابة قد أخفقت في الإساءة إلى تشو إن ــ لاي ، فإن المرض قد أقعده وتخلـى عـن منصبه سنة 1975 ، وحلّ محله تينج هسياو بينج Teng Hsia - ping الذي تحمـل مسـؤولية الإشراف على الأعمال اليومية للجنة المركزية للحزب . وإذا كانت بعض الممارسات الخاطئة التي صاحبت الثورة الثقافية في بداياتها الأولى تبرر بأنها كانت ضرورية لحماسـة الجماهـير ، فإن الممارسات التي بدأت تقوم بها عِصابة الأربعة لم يعد لها مبرر ، وكانت تتسّم بالمصالح الشخصية والمواقف الانتهازية .

وقـد تـزعم تـنج هسياو بينج الاتجاه الذي يدعو إلى إصلاح الأخطاء الماضية ، وعقدت عدة اجتماعات مهمة مدنية وعسكرية لحل المشكلات التي ظهرت في مختلف مناحي الحياة ، خاصة المشاكل الزراعية والصناعية . وكان تفكيره ينبع من الواقع الذي كانت البلاد تعيشـه . ويـبدو أنه لم يكن مقتنعاً بما كانت عصابة الأربعة تطرحه بخصوص وجود يمين متطرف في البلاد . وفي هذا الوقت (1974) كان ماو نفسه يتطلع إلى استقرار الدولة بعد ثمانـي سنوات من الثورة . ولكن عِصابة الأربعة لم تفضل ذلك ، واستطاعت أن تؤثر على ماو ودفعته إلى دحض تنج هسياو يبنج [14] على أساس أنه كان تحريفياً يمينياً . وترتب على ذلـك نهاية فترة الاستقرار النسبي في الصين وإعادتها إلى الفوضى من جديد وغدت عصابة الأربعـة هـي المحركة للأحداث وليس ماو ــ كما اصبح الجيش بعيدا عن الخلافات ، في حين انزوت الصحافة وطلاب الجامعات أيضا .

5 ــ نهاية الثورة الثقافية

فـي يـناير 1976 مات تشو إن ــ لأي وتبع وفاته حادث عرف باسم حادث ميدان السـلام السماوي عندما عارضت عِصابة الأربعة الحداد على رئيس الوزراء الراحل ووافقت على ذلك أغلب قيادات الحزب وقمعت المظاهرات الضخمة التي تجمعت لهذا الغرض بالعنف . وأدى ذلـك إلـى وضـع العِصابة في مواجهة نقمة الجماهير التي كانت تكن كل الاحترام لرئـيس الـوزراء الراحل ، وفي مواجهة كثير من الحزبيين الذين تعاطفوا معه . ويعد هذا الحـادث نقطة تحوّل في تاريخ الصين المعاصر ، حيث إنه كان بداية النهاية لعِصابة الأربعة . فبعد أن تدهورت صحة ماو ومات في 9 / 9 / 1976 ، حاولت العِصابة أن تتسلم السلطة ، ولكن المكتب السياسي للجنة المركزية كان لها بالمرصاد ، وقام هوا كو- فينج Hua Kua Feng - بـدور أساسـي فـي هـذا الصدد . وقدمت عِصابة الأربعة ومعها مؤيدوها إلى المحاكمـة ، ولـم يشفع لها تأييد ماو قبل وفاته . وبذلك انتهت الثورة الثقافية التي دامت نحو عشر سنوات ، وبدأت القيادة الجماعية الرباعية تمارس مهامها . [15]

---

14 ــ تحت تأثير عصابة الأربعة ابعد تينج هسياو بينج عن منصبة بأمر من ماو .

15 ــ خيري عزيز " ماوتسى تونج ومسيرة الثورة الصينية " مجلة الطليعة 12:10 (أكتوبر ، 1976) 149 ــ 151 .

وبعـد موت ماو كان لابد من تعديل الاتجاه ، وأصبح هوا كو ـ فينج نائب الرئيس الأول للجنة المركزية للحزب ورئيسا لمجلس الوزراء في وقت واحد . وركز المؤتمر الحادي عشـر للحزب سنة 1977 في مناقشاته على الاستقرار والوحدة في البلاد . ويعد ذلك إشارة ضـمنية تعنـي أن الصين قد تعرضت للفوضى وخطر التفكك أثناء الثورة الثقافية . وبسبب التغيرات في الزعامة بعد سنة 1976 حدث تحول كبير عن القيم ومن ثمة عن سياسات الثورة الثقافية ، وظهر شجب عميق للفترة 1965 – 1976 . وتشير الانتقادات الرسمية الحالية إلى التحطـيم الذي منيت به الأمة بسبب نتائج الثورة الثقافية التي أدت إلى عداوة واسعة النطاق للـثقافة والمثقفيـن . وبعد سنة 1976 تم التعبير عن الصفة الجديدة المتميزة لما بعد الثورة الثقافية في التعليم في سنة 1977 من طريق ظهور ملصقات تحمل شعار " احترام المعلم " في المـدارس والأماكـن العامـة ، كما استعاد مكتب التعليم سلطاته خاصة (فيما يتعلق بتعيين المعلميـن ، وحلـت اللجان الثورية ، وأعيدت امتحانات القبول بالجامعات) في صيف سنة 1979 وأيضـا الدرجات الأكاديمية في الجامعات . وفي سنة 1978 قررت اللجنة المركزية للحـزب بداية ما يعرف بثورة التحديثات الأربعة وهي تحديث الزراعة ، والصناعة ، والعلم والتقنية ، والدفاع ، وهي سياسة انطلقت من قلب القيادة الشيوعية الصينية . [16]

6 ـ خاتمة

تتمـيز الثورة الثقافية في الصين باستمرارها فترة طويلة من الزمن وتركيزها على المثقفيـن والحـزب والحكومة الجيش ، كما اتسّمت بالمغالاة في تمجيد آراء ماو . وكان فكر الثورة الصينية يهدف إلى الصراع ويدعو إليه : الصراع بين العقيدة والخبرة ، بين أهل الثقة وأهـل المعـرفة ، بين المثالية والواقعية . وتبلور الهدف من الثورة الثقافية في القضاء على الانحـرافات بين المثقفين وخاصة داخل الحزب . وشملت حملة النقد والسياسي رئيس الدولة ليوتشاوتشـي ، ووزيـر الدفـاع ليـن بياو وعضو اللجنة المركزية للحزب تنج هسياو بينج ومحافظ بكين.. الخ . كما اشتمل التطاول ثمانية نواب لرئيس الحكومة وعشرين وزيرا ونائب وزير ، وأغلب هؤلاء ، إن لم يكن كلهم ، إما أعضاء في الحزب الشيوعي الحاكم أو مؤيدين له ، وكانت كتابات ليوتشاوتش تأتي في المرتبة الثانية بعد كتابات ماو نفسه .

وعلـى المسـتوى الثقافـي شملت حملة الدحض يوو ـ هان مؤلف المسرحية التي فجـرت الـثورة الثقافية ، وماو تون Mao Tun الكاتب الصيني المعروف ومؤلف قصة " منتصف الليل " نموذجا للأدب الصيني الحديث ، والشاعر أي شنج الذي عانى الكثير ما بين سـنة 1957 و 1976 . وأتهمه رئيس معهد الموسيقا في مدينة شنغهاي بأنه يسمع الجمهور سـيمفونيات حزيـنة تبث في نفوس الناس روح القنوط واليأس ، وأعدمت الموسيقية زهانج

16 ـ أنور عبدالملك ، تغيير العالم (الكويت : عالم المعرفة ، 1985) 94 .

زهـــي شن سنة 1975 . كما تم دحض الكثير من أساتذة الجامعات ، وتشير بعض المصادر إلـــى إعـــدام اعـــداد منهم لا سيما في جامعة بكين التي تعرض فيها من 73 إلى 90 أستاذا لحملات النقد .

وقـــد كان الهدف الأساسي من الثورة الثقافية هو مواصلة الثورة في ظل دكتاتورية البروليـــتاريا . وما هدف إليه ماو من جعل الشباب يأخذون دورهم في الثورة الثقافية ، ولكن أهداف ماو التي تحقق الجزء الأكبر منها مع نهاية سنة 1966 ، لم تستمر أهدافا للثورة . فقد ظهر لين بياو وجماعته ، ثم عِصابة الأربعة ومؤيديها ، وانحرفت الثورة عن هدفها المرسوم لهـــا . ولم يعد تثوير الأجيال وتجديد الثورة هدفا بقدر ما أصبح تحقيق الطموحات الشخصية في الاستيلاء على السلطة هو الهدف الأساسي ، وخاصة خلال فترة تدهور صحة ماو . ولم تلجـــأ مجموعـــة عِصـــابة الأربعة إلى العنف أو استخدام الجيش في إحداث انقلاب عسكري حفاظـــا على وحدة البلاد ، وبقى الجيش بعيداً عن الصراعات الداخلية ، وهو أمر تميزت به الصـــين منذ سنة 1949 عن غيرها في أغلب بلدان العالم الثالث التي حصلت على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية .

وخلاصـــة القـــول لقد كانت أهداف الثورة الثقافية بالنسبة للبعض بمثابة حلم المدينة الفاضلة الذي لا يمكن تحقيقه نظراً لأن تلك الأهداف كانت تحلق في سماء الطبيعة البشرية . وانـــتقد الكثيرون توقيت الثورة الثقافية على أساس أنه غير مناسب للمرحلة الحالية ، أي في ذلك الوقت من التطور الاشتراكي وأشار آخرون إلى إخفاق زعماء الثورة في إدراك الارتباط بيـــن طبيعة النظم التربوية وما يترتب عليها من فشل في التأثير على التغيرات الأساسية في الـــنظام الاقتصـــادي والسياسي الضروري لبقاء الابتكارات التعليمية . ومع ذلك فإن الثورة الثقافـــية قامت بردة فعل متميزة للدفاع عن الهوية الصينية الثقافية والتاريخية لمقاومة التزمت الاستعماري الغربي الذي يريد أن يفرض ثقافته الاستهلاكية وقانون السوق بما فيه من شراهة

لاستغلال العالم بأسره . ويمكن أن نستنبط أن ما حدث كان وراءه حافز سياسي داخل الصين وخارجها ، وخاصة علاقة الصين بالاتحاد السوفييتي آنذاك ، ووجهة نظر ماو حول ما حدث فيه بعد سنة 1956 عندما جرى الحط من قدر ستالين ووضع تاريخه في زاوية الإهمال . ولم تكن الثورة الثقافية حدثا عارضا في تاريخ الصين بل كانت مثار جدل ونقد ، واستمر الموقف الحزبي تجاهها في التأرجح حتى سنة 1984 عندما أعلن رسميا عن رفضها نهائياً .